

دراسة سيميائية لبقايا رموز الإلهة تانيث في منطقة خنشلة

A semiotic study of the remains of the symbols of the goddess Tanith in the Khenchela region

بوزيدي فؤاد*,  جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، foud.bouzidi@univ-alger.dz

عبيدي سعاد،  جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، souad.abidi@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/10/20

تاريخ الإرسال: 2025/08/30

ملخص:

الأنثروبولوجيا كعلم واسع النطاق والتخصص في الدراسات العقلية المتعلقة بحياة الإنسان، تسعى أيضاً في عملية البحث للتركيز أكثر في الأشياء المحيطة بالمنتجات الثقافية وعن عمق المعاني والدلالات المتعددة من خلال المقتنيات التقليدية، كالرسوم والرموز الموجودة على الفخار والزراي ورسوم رجال الكهوف وأشكال وأنماط الحلي، وإذ كان البدء في البحث عن الدور الذي لعبته في تفسير الأغراض التي تلبى الحاجات يومية والغايات نفسية، كما تحمل أيضاً رسائل ضمنية أو مشفرة متعددة الأبعاد خاصة البعد الديني وهنا يأتي دور الأنثروبولوجيا الرمزية، التي لا تكتفي بالوصف الظاهري لهذه المقتنيات، بل تتعمق في تحليلها للكشف عن النظم المعنوية والدلالات الكامنة وراءها، فكل نقش، لون، أو شكل يصبح بمثابة نص ثقافي يُقرأ لفهم كيفية بناء المجتمعات لمعانها وتصوراتها للعالم، بما في ذلك المقدس والمدنس، والخير والشر إنهما تبحث عن الكيفية التي تُعبر بها الثقافة عن نفسها من خلال هذه الرموز المادية، وكيف تُشكّل هذه الرموز الفهم الجمعي للواقع وتُفوّي الروابط الاجتماعية والروحية داخل الجماعة.

الكلمات المفتاحية: الرمز، السيميائية، تانيث، خنشلة.

Abstract:

Anthropology, as a broad-ranging science and a discipline concerned with field studies related to human life, also seeks in the research process to place greater focus on the objects surrounding cultural products and on the depth of meanings and multiple connotations expressed through traditional artifacts—such as drawings and symbols found on pottery and carpets, cave paintings, and the forms and patterns of jewelry. Research thus begins by examining the role these artifacts have played in interpreting objects that fulfill daily needs and psychological purposes, while also carrying implicit or encoded, multidimensional messages, particularly of a religious nature.

Here emerges the role of symbolic anthropology, which does not confine itself to the surface description of these artifacts, but rather delves deeply into their analysis to uncover the systems of meaning and the underlying significations behind them. Every engraving, color, or form becomes a kind of cultural text to be read in order to understand how societies construct their meanings and their perceptions of the world, including the sacred and the profane, and good and evil. Symbolic anthropology thus seeks to understand how culture expresses itself through these material symbols, and how these symbols shape the collective understanding of reality and strengthen social and spiritual bonds within the community.

Keywords: symbolism, semiotics, Tanith, Khenchela.

مقدمة

شهد تاريخ البشرية العديد من الشواهد على عبادة الأوثان، وتلك البقايا والممارسات هي شواهد حية على استمرارية الإرث الثقافي والديني لتلك المعتقدات القديمة، وإن كانت بشكل متوارٍ أو متحوّر، إنها بمثابة مرجعيات ثقافية ومتحف طبيعي مفتوح يروي تاريخ تفاعل الإنسان مع بيئته ومعتقداته، هذه الرموز والأشكال الهندسية، سواء كانت منقوشة على الأحجار أو جدران الكهوف، أو منسوجة في الزرابي، تمثل امتداداً مادياً للممارسات الطقوسية التي كانت تُمارس في تلك الأماكن يمكن وصفها أيضاً بـ "البقايا الثقافية" أو "الأثار الطقوسية" التي تُشكل "ذاكرة جماعية" للمنطقة، حتى وإن زال السكان عنها أو تغيرت معتقداتهم، هذه العناصر لا تزال تحمل في طياتها "الشفيرة الثقافية" للحضارات التي سبقت، وتقديم للباحثين فرصة فريدة لدراسة تطور المعتقدات الدينية وانتقالها عبر الأجيال والمناطق

الجغرافية، مؤكدة على العلاقة العميقة بين المادة والرمز والمعنى في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات.

تختلف آراء العلماء والباحثين حول الوظائف التي أدتها المعبودات القديمة ضمن معتقدات المجموعات الدينية، وكذلك حول أصول الآلهة الوثنية المحلية، وكيفية انتقال عبادتها إلى مناطق خارج حدودها الجغرافية، وارتباطها بثقافات متنوعة حول العالم. لدعم آرائهم، كشف الباحثون والمؤرخون عن العديد من الشواهد المادية مثل التماثيل، النصب الجنائزية، الرموز، والنقوش التي تحدد النطاق الثقافي والديني لعبادة هذه الأوثان محلياً.

إن البحث عن رمزية بعض الأشكال الهندسية التي استمرت إلى يومنا هذا، غالباً ما يلازمه غياب المعاني الحقيقية وراء دلالاتها ومضامينها هذا يشكل تحدياً كبيراً للباحثين في محاولتهم فهم الدوافع الأصلية والقيم الروحية أو الاجتماعية التي كانت ترتبط بها هذه الرموز، فقدت هذه الأشكال مع مرور الزمن وتغير السياقات الدينية والثقافية، جزءاً كبيراً من "شفرتها الثقافية" الأصلية، مما يجعل عملية فك رموزها وتحديد وظائفها الحقيقية في حياة الأجيال السابقة أمراً معقداً وشاقاً يحتاج إلى تحليل اثنوغرافي لهذا الموضوع والرجوع إلى الأدبيات التاريخية والاطلاع على المتاحف للوقوف على عملية تفكيك مضمون الرمز وفهم دلالاته.

1.1. إشكالية البحث:

لقد أخذ موضوع البحث في أصول بعض العادات والرموز المتعلقة بالمنتجات الثقافية الكثير من التفسيرات والآراء المتضاربة، التي تندرج في وصف غير دقيق لها في أوساط المجتمع المحلي لمدينة خنشلة، والحاجة اليوم إلى معرفة أصول هذه الممارسات وتفكيك الرموز والأشكال الهندسية وما تتضمنه من دلالات، خاصة ما يميز المنتجات المادية الثقافية التي تحتاج إلى القراءات المتأنية في المصادر التاريخية لتحديد النطاق المكاني والزمني لظهورها ، التي تحمل العديد من الأبعاد الثقافية والدينية، من أجل ذلك يتطلب البحث في كلاسيكيات الأدب التاريخي والدراسات العلمية، وضع مقاربات علمية لمقارنتها مع الشواهد الأثرية من أجل فهم بعض من الممارسات وتبيان مدلول الرموز والأشكال سيميائية والظروف التي شكلته من معاني في الحياة المجتمع ليسهل فهمها في سياقها العلمي الصحيح.

شكلت الرموز والأشكال على المنتجات التقليدية موضوعاً خصباً للأنثروبولوجيا بكل فروعها، لأنها منتجات تسلسل إنتاجها بنفس الأسلوب ونفس التقنية من جيل إلى جيل ،وكذا الأشكال التي تحمل العديد من المضامين (اجتماعية ودينية وسياسية)، ونسلط في هذا المقال على واحدة من معبودات العهد الوثني والمتمثل في الإلهة (تانيث) التي عبدها سكان شمال إفريقيا وهو المكان المحدد لدراستنا ويمكن رصد بعض من ملامح هذا العهد الوثني في يومنا هذا، كبقايا يمكننا الانطلاق لفك رموزها

ودلالات ممارساتها لفهماها أو بعبارة أخرى ندبة الإنسحاب (la cicatrice de leur arrachement.) على حد تعبير كلود ليفيس تراوس: عوض الإنطلاق من الإنسان للوصول الى منتجاته يجب عكس ذلك الانطلاق من منتجاته للوصول الى لإنسان، فبعض المفردات اللغوية المقتزنة بالمعبودات الوثنية (الإلهة تانيت)، وبعض الطقوس والرموز التي تشكل موضوعات المنتجات التقليدية كالسجاد وما يحملها من دلالات ومضامين وايضا وجود بعض الطقوس في بعض المناسبات التي تدخل ضمن العادات والتقاليد، ما هي إلا امتدادا لممارسات العصور قديمة (الوثني النوميدي والفترة الرومانية الفينيقيو قرطاجي)، وستكون الإشكالية التي تم إثارتها بالسؤال التالي: الى أي مدى يمكن ان يكشف فك الرموز وبعض المفردات اللغوية عن جود بقايا من العهد الوثني في منطقة خنشلة؟

ومن أجل الإجابة على هذا السؤال يلزمنا تسليط الضوء في البداية على المظهر الثقافي والديني والسياسي لمنطقة خنشلة والتركيز على الشواهد الأثرية للألهة التي كانت تعبد في الجزائري وسنبرز واحدة من أهمها وهي الإلهة تانيت واقتزان بعض الرموز والعادات بها بمنطقة خنشلة.

تهدف إلى تفسير بعض الممارسات بتتبع خطوات منهجية يجلي أصلها ويمكننا رصدها كبقايا تدل على قدمها قدم التاريخ ويتم تعزيز فهمنا لمضامينها بما يتم رصده اليوم من ممارسات ومقارنتها مع المكتشفات من أثار ومطابقتها مع كل ما تم الإشارة إليه من الدراسات والبحوث العلمية خاصة الأنثروبولوجيا الرمزية.

إن اهمية الدراسة نتطرق فيها إلى ملامح الوضع السياسي والديني قبيل دخول الرومان الى شمال إفريقيا واستمراره في محاولة رومنة شمال إفريقيا وموقف الديانة المسيحية والدين الإسلامي من عبادة الاوثان ومحاولات التغيير، وكيف يمكننا تفكيك بعض الرموز وفهم بعض الممارسات وعوامل مقاومتها للتغيير والتطرق الى اهم المقاربات التي تفسر الانشغال بالرمز.

2.1. المنهج

ان العمل الأنثروبولوجي، بفضل نظريته التكاملية التي تجمع بين الإثنوغرافيا والإنثولوجيا، يوفر منهجية مثالية لتتبع أدق التفاصيل. يعتمد هذا النهج على الملاحظة الدقيقة والسعي لإبراز كل ما يندرج ضمن النشاط الإنساني المرتبط بهذه الصناعة. يشمل ذلك الكشف عن التعابير الاتصالية، والتنقيب عن الغرض الحقيقي من دورها في حياة الأفراد، بالإضافة إلى تحليل رمزية المعنى الذي تحققه هذه المنتجات أو الممارسات.

تُعد صناعة الزرابي والسجاد في مجملها منتجات ثقافية شعبية ذات خصائص وميزات فريدة تميز مجتمعاً معيناً، كونها تجسد الفن، الحكايات، الأساطير، المعتقدات، والطقوس المتأصلة في كل عمل

يدوي. وهذا يتوافق مع رؤية فرانز بواس الذي يرى أن "الهدف النهائي للبحث ليس معرفة الأعراف والمعتقدات والممارسات وتقليدها كما هي قائمة، وإنما التوصل إلى العوامل التي أدت إلى وجودها، وبمعنى آخر اكتشاف تاريخ نموها". كما تحيل الطقوس حسب "جيرترز" أهمية كبرى داخل النسق الديني فهي التي تجسد عملية الدمج التي تقوم بها الرموز المقدسة بين النظرية إلى الكون ونظام والقيم، وهذا ما ذهب إليه "فريزر" في قوله: «إن الدين الذي لا تدور حوله شعائر وطقوس محكوم عليه بالموت، وكذلك الشعائر والطقوس الخالية من كل اعتقاد ديني لا يعتبر ديناً. (فريزر، 1971، صفحة 118)

البحث الاثنوجرافي بأنه نموذج من نماذج البحوث الكيفية، يتضمن جمعاً مكثفاً للبيانات، أي جمع البيانات عن العديد من المتغيرات على فترة ممتدة من الزمن وفي وضع طبيعي، ويقصد بمصطلح "وضع طبيعي" أن متغيرات البحث يجري استقصاؤها في الموضوع الذي تحدث فيه بشكل طبيعي وأثناء حدوثها. وليس في بيئة وضعها الباحث في ظروف شديدة الضبط.. (رجاء، 2001، صفحة 348)

2. تحديد المفاهيم:

1.2. مفهوم الرمزية:

الرمزية، لغوياً، مشتقة من الفعل "رَمَزَ يَرْمُزُ رَمْزًا"، بمعنى أوماً وأشار. والرمز يدل على الموضوع أو التعبير أو النشاط الإنساني الاجتماعي الذي يوحى بفكرة أو يشير إلى قيمة شيء ما إشارة مجردة، ويحل محلها ويصبح ممثلاً لها وبدلاً عنها، يُستخدم الرمز بشكل مطرد ليمثل مجموعة من الأشياء، أو نوعاً من أنواع العلاقات الاجتماعية، أو الفكرية، أو الروحية. ويُطلق عليه الرمز الاجتماعي عندما يشترك فيه أفراد المجتمع، كالرموز التي تمثلها الميثولوجيا، الفولكلور، والرموز الوطنية والقومية والإنسانية وغيرها. (عماد، 2009، صفحة 169)

تنسج الرمزية لتشمل، بالإضافة إلى تعريفها السابق، كل أشكال المجاز المرسل، التشبيه، والاستعارة. تُساهم هذه الأنواع في خلق علاقات معقدة حاملة لدلالات بين الأشياء. عندما يجد الإنسان نفسه بحاجة إلى التعبير عن أفكاره، فإنه قد لا يجد الألفاظ والتعابير الجاهزة في اللغة لتغطية مراده تمامًا. لذا، يلجأ إلى المجاز، مُحملاً الألفاظ دلالات ومعاني لم توضع لها أساساً، وذلك لسد النقص التعبيري (شرشار، ماي-ديسمبر 2002) وهذا ما جعل علم الأنثروبولوجيا الرمزية تنشغل في البحث عن المضامين والدلالات في كل أشكال الرسم والتعبير اللفظي.

2.2. تضمين وتعيين تانيث من خلال الرمز:

يرمز إلى لإلهة تانيث بالقمر أو الهلال، فهنا بعض من الممارسات لها صلة وثيقة أيضاً في فترة الوحل لا تزال شائعة في منطقة خنشلة وضواحيها من خلال، أين يوضع في أنية فخارية نبات الشيح (الشويلاء أو الشَّيْح (الاسم العلمي: Artemisia) وتعرضه لضوء القمر ليلة كاملة ثم يقدم في الصباح

للمرأة لتغتسل بمائه او تبخيره على جسدها، وسواء أكانت هذه الوصفة تخفف من ألآم الحمل أو ما يعتقدده الأفراد في طاقة القمر التي تمنحها لمنقوع الشيح ودوره في الخصوبة، "كما كان للقمر مكانة خاصة في الطقوس التي اثبتها السحر، والتي استمرت تمارس حتى وقت متأخر، وهو ما دفع ببعض المؤرخين إلى اعتبار عبادة القمر أكثر انتشارا من عبادة الشمس عند البربر.

3.2. تعريف المعتقد الديني:

- لغويًا: المعتقد: هو ما يؤمن به الإنسان ولا يقبل الشك فيه. (الدين، 2000، صفحة 340)
الدين: تعود كلمة "الدين" إلى أصل ثلاثي يتصل بثلاثة أفعال أو كلمات متقاربة الألفاظ:
إذا قلنا "دانَ يدينُهُ دينًا"، فإن الدين هنا يقصد به الملك والتصرف والسياسة والحكم.
الاشتقاق الثالث هو قولنا "اتخذ الشيء دينًا"، بمعنى اتخذه مذهبًا وطريقة. (الدين، 2000، صفحة 340)

كلمة "religion" الإنجليزية مشتقة من الأصل الاشتقائي اللاتيني "Relegere" ومنه الفعل "Leg"، والذي يشير إلى العبادة القائمة على الخشوع والرهبة والاحترام. (توفيق، 1981، صفحة 24)
- اصطلاحيًا: المعتقد هو فعل إجماعي بالضرورة، تعمل الأجيال المتعاقبة على صياغته، وهو إجماعي على أكثر من سبب لتطويره وصقله. (إيزار، 2006، صفحة 861).

يتألف المعتقد الديني عادةً من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة التي تهدف إلى رسم صورة ذهنية وتوضيح الصلة بين الإنسان وعالمه المقدس. غالبًا ما تُصاغ هذه الأفكار في شكل تراتيل وصلوات. ضمن هذا الشكل الأدبي، يمكننا البحث عن المعتقدات الأصلية والمباشرة لمجموعات بشرية معينة. (إيزار، صفحة)

4.2 تحديد حقل الأنثروبولوجيا الدينية:

لا ترضى الأنثروبولوجيا الدينية أن تصف وتحصي وتصنف الوقائع الدينية، إنها ترى الدين كجزء من الثقافة وتبحث في تفسير التشابهات والاختلافات بين الظواهر الدينية في المجتمعات المختلفة من غير تفضيل للمؤسسة التوحيدية. إنها لا تنغلق في القديم ولا في العامل الثالث، فهي تعنى كذلك بالطقوس النيبالية مثل أساطير البابو، وبالشامانيين السيبيريين، لقد تركزت طويلا على مجتمعات صغيرة، وأمية، وأحياناً قديمة يختلط فيها غالبا القبلي بالديني. إنها تقوم بتبادل المعلومات ووجهات النظر والمناهج مع علوم مجاورة تبحث جميعها في فهم الأمور الديني. (Clud، 1997، صفحة 7)
باعتبارها جزءاً من الأنثروبولوجيا الرمزية التي تغطي كل أوجه الرمز في اللغة، في الفنون، والثقافة، باعتبارها جزء تدرس الأنثروبولوجيا الدينية الإنسان كخالق ومهيمن على الرموز، في علاقته بما يعتبره المافوق طبيعي أو المقدس، لكن في ديانات المجتمعات الصغيرة، بينما الديانات الكبرى فقد

تركها لعلم الاجتماع، حقلها يمتد إلى ميادين متنوعة كالعقلية البدائية، السحر والشعوذة وأشكال التنظيم الديني، ويمكن أن نحدد هذا الحقل فيما يلي:

1.4.2 موضوع الدين: القوى: الله، الجن، المانا، الفيتيش، الأسلاف، والشياطين من جهة، ومن جهة أخرى الأماكن المقدسة الحاوية للقوى كالحجارة والشجر والماء والنار والحيوانات.

2.4.2 موضوع الدين: بلا شك هو (الإنسان المقدس) الملك، القس، القديس، الساحر. (ولكن أيضا الجماعة الثقافية) القبيلة، الكنيسة، الطائفة، الجماعة السرية وكذلك العناصر الروحانية في الإنسان: (الروح، القرن)

3.4.2 تعبيرات التجربة الدينية: هي في الوقت ذاته (خيالية/ فكرية) معتقدات، أساطير، مذاهب (وعملية) العبادات، الطقوس، الأعياد، الأفعال السحرية (واجتماعية) أنماط الروابط الاجتماعية ضمن منظمة دينية (صناعية) متغيرة حسب المناطق الثقافية والأشكال الاقتصادية المهمة: ديانة المحارب والتاجر (Claude، 2013، صفحة 122)

3. المقاربة الرمزية التفسيرية:

يُعرف كليفورد غيرتز (1926-2006) بمقاربتة التفسري (Interpretive Anthropology) حيث يرى أن الإنسان معلق في شبكات من الدلالات التي نسجها بنفسه. بالنسبة لغيرتز، الثقافة ليست قوة خارجية تُحدد السلوك، بل هي "نص" يمكن قراءته وتفسيره. مهمة الأنثروبولوجي هي "الوصف الكثيف" (Thick Description) للظواهر الثقافية، أي الغوص في تفاصيلها لكشف الطبقات المتعددة من المعاني التي تحملها الرموز والممارسات. فالرموز ليست مجرد إشارات، بل هي تعبيرات عميقة عن رؤى العالم، القيم، والمعتقدات المشتركة. (Geertz، 1973، صفحة 5)

1.3. دراسة سيميولوجية دلالة اسم تانيت ورمزيته وتعيينه:

وفي ضوء المنهج السيميولوجي تمت الاستعانة بمقاربة رولان بارت التي تقوم على مستويين أساسيين، وهما: المستوى التعييني الذي يعني به المعنى الفوري أو الجلي للصورة، والمستوى التضميني الذي يعني به المعنى الحقيقي للرسالة، وهو المعنى العميق غير الظاهر. حيث قسم رولان بارت في كتابه "عناصر السيميولوجيا" القراءة الدلالية إلى مستويين: مستوى تعييني (وصفي denotation) أي دلالة تعيينية حقيقية متعلقة بالوصف فقط، وهو المستوى الذي يدركه الجميع.

4. لمحة تاريخية لمدينة خنشلة (ماسكولا):

تمجد ولاية خنشلة في ماضيها التاريخي الغني والعميق، لأنها كانت تعرف الوجود الإنساني منذ ليلة العصر الذي اكتشفت فيه الآثار، ولا سيما كهوف فرنقال، المنازل التي كانت محفورة على الأحجار

الصخرية بمتوسة ... تشهد على فترة ما قبل التاريخ، هذا هو الحال في الفترات الأولى للحضارات؛ فتاريخ خنشة يندمج مع الأصول البربرية، التي حاولت العديد من الروايات، الأساطير والفرضيات تفسيرها. الفترة الفينيقيّة: من التسلسل الزمني للأحداث المعروفة عبر التاريخ من خلال التقاليد غير الموثوقة؛ تاريخ البربر، يبدأ من خلال الاستعمار الفينيقي.

الفترة الرومانية: منطقة خنشة التي لازالت آنذاك تتبع بلاد البربر ككل، إذا أنه لا توجد أية عناصر تسمح بتمييزها، شهدت بداية تاريخها تتأكد خلال القرن الأول للميلاد، عندما وصل الرومان إلى مشارف الأوراس وأقاموا مستعمرة جديدة. أطلق عليها إسم ماسكولا (خنشة) والتي تتواجد على إرتفاع 1200م في نهاية قمم الأوراس، موقعها يسمح بمراقبة السهول الواسعة التي تتجه غربا، نحو ولاية باتنة وجنوبا نحو ولاية بسكرة والصحراء (urbanisme, article_de < https://interieur.gov.dz, 2024)، ثم تلتهما الفترة البيزنطية والفترة النوندالية، إلى غاية الفتح الإسلامي، تم الاحتلال الفرنسي للجزائر.

5. المعتقد والمعبود المحلي للمملكة النوميديّة:

لم يكن شمال إفريقيا في منأى عن هذه الممارسات من عبادة الأوثان فالمملكة النوميديّة تميزت بمراحل الحياة الدينية، ومنطقة شمال إفريقيا ثرية بالعديد من الشواهد على الحياة الدينية من خلال المكتشفات الأثرية، ورغم انها لم تأخذ نصيبا من اهتمام الدراسات والبحوث إلا الشيء اليسير، تم تعزيز الدراسات والأبحاث من الأدبيات الإغريقية واللاتينية القديمة التي ذكرت بعض من مشاهد الحياة الدينية والسياسية للمنطقة الا أنها غير مكتملة الوضوح لاعتبارات عديدة، منها العلوم التي تبحث في التراث الثقافي خاصة المجتمعات العربية تأخرت في إبراز جوانب تاريخ حضارتها القديم وأبضا وجود كلاسيكيات الأدب الحضاري التي يبرز فيها الباحثون والمؤرخون عناصر الحضارة التي ينتمون إليها فقط. تعددت أهلة المغرب القديم والتي عبدها السكان الأصليون على مر الزمن، وذلك لتعدد المعتقد الديني المحلي عندهم، ومع تطور الفكر الديني في بلاد المغرب القديم كان تطور الآلهة التي عبدت آنذاك (غزال، 2007)، بالرجوع الى نصوص هيرودوت وديودورس الصقلي وغيرهم من المؤرخين الذين عاصروا تلك المرحلة يتم تأكيد أن شمال إفريقيا القديم كان يعبد أربابا انتقلت هي أيضا الى الأغريق بعد ذلك، ويبرز ديودورس الصقلي ذلك في قوله "إن الآلهة ولدت في بلدانهم وهو الرأي المتفق عليه عند الأغريق وثبته مخطوطات ايلياذة هميروس " (البرغوثي، 1971، صفحة 64)

1.5. الطوطمية والرسوم الصخرية:

العديد من الأشكال الفخارية التي بقيت وتشكل الرموز مزيجا متنوع مراحل عديدة الذي أشار إليه الله تعالى في القرآن الكريم في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ) (الأنعام)، وبحسب قول إميل دوركايم يلازم الاعتقاد الإنسان

كفطرة ويرجع فطرته نحو عبادة القوى التي يرى أنها أقوى منه، وكما هو الحال في المنظور الإسلامي وسياق الحديث عن الإيمان بالغيب هو من أركان العقيدة الصحية، والدليل على فطرية ذلك التوجه الذي يلزم الإنسان هو دوام ذلك الشعور وشموليته لجميع الأفراد وبجميع الأزمان، فليس ثمة أمة عاشت بلا دين ولا عبادة. (ferguson.j, 1986, p. 35)

الطوطمية بأنها ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية ورمز معين يسمى الطوطم. (Haas, 2002, pp. 139–44)، كما يحدده Ferguson يمكن أن يكون طائرا أو حيوانا أو نباتا أو ظاهرة طبيعية أو مظهرا طبيعي من إعتقاد الجماعة بالإرتباط به روحيا، كأن تتخذ القبيلة مثلا من حيوان معين رمز طوطمي لها.. (ferguson.j, 1986, pp. 194-209)

2.5. عبادة الأرواح:

إن العديد من الطقوس والممارسات النابعة عن ترسب اعتقاد وثني قديم في بعض المناطق في شمال شرق الجزائري، لاتزال قائمة الى يومنا هذا وتتمثل في تبجيل الأشجار (شجرة أم الشلالق) او ما يصطلح على تسميتها ب (التقديمات النذرية) والاعتقاد بأن وظيفتها تعمل على استجابة وتلبية دعواتهم التي تختلف من شخص إلى آخر، ويكفي ان يضع الشخص قطع أو خرق من النسيج أو الخيوط عليها مع استحضار النية في ذلك، مع وضع الشموع والأبخرة والأواني الفخارية في بعض الأماكن المحددة (لمزارة) وهي تعبر في رمزيته عن قداسة المكان مخصص للراغبين في تحقق أمنيتهم، وغالبا ما تكون هذه الأماكن على المرتفعات الهضبية التي يسهل الوصول إليها وتكون مكشوفة أو بالقرب من الينابيع والأودية، وتستمر عملية الاعتقاد بالقوة التي تملكها هذه الأماكن من خلال الأرواح التي تسكنها (أرواح الصالحين والأجداد) والتي لا تحتاج الى أداء طقوس معينة عدى رمزية مادية تتمثل في وضع خرق من القماش أو خيوط من ألوان مختلفة على أغصان الشجرة المباركة، التي الى وقت غير بعيد كمثال على ذلك الشجرة التي يطلق عليه أم الشلالق (بوزيدي، 2024)، وهي ممارسات ليست متواجدة في حيز جغرافي حصرا إلا أنها من الطابع العقدي الذي شمل كل شمال إفريقيا تقريبا وبما أن هذه الممارسات متواجدة في العيد من مناطق العالم وتم الإشارة إليها في العديد من الدراسات لقد تشأم الليبيون كغيرهم من الشعوب القديمة من كل ما هو شر ونحس، واعتقدوا ان هذا الشر أو النحس يمكن التخلص منه، إذ ذكر قرال (Gsell) عن المؤرخ أرنوب (Arnobe) أن الليبين كانوا يربطون في بعض الأشجار قطعاً من النسيج تسمح حسب اعتقادهم بالتخلص من الشر. (الصغير، 2005، صفحة 69)، كما يتم إشعال الأبخرة او الشموع أو وضع قطع نقدية في المناطق التي تسعى لمزارة في أواني فخارية وتشمل على رمزية معنوية تتمثل في استحضار النية في أنه ستم الاستجابة لدعواتهم. (فؤاد، 2024).

وقد استمرت هذه الظاهرة حتى عصرنا الحالي، ففي منطقة عين الدراهم ناحية فريانة بتونس توجد شجرة عملاقة يسميها السكان "لالة فرنانة" يعتبرونها مقدسة، ويقصدونها عند الحاجة، ويربطون خيوطا واقطع من الثياب متلفظين بأمنية لهم اوبعض اقاربهم، فضلا على أن أحدا لا يجزؤ على إيدائها، وكذلك الشأن بالنسبة للسدرة المرتبطة ببعض المناطق الجزائر (الصغير، 2005، صفحة 69)

3.5. عبادة الاجرام السماوية:

إن السماء هي وجهة الإنسان التي طالما تثير فيه الفضول وأسئلة عن نشأته ومصيره، ورؤيته المستمرة للأجرام السماوية (الشمس والقمر والنجوم والنيازك) يحاول معها في كل مرة إعطاء تفسيرات لوجودها وعلاقته بها منذ القدم، والانسان عبر مراحل التاريخ دوما ما كان يعتقد انه أصول نشأته هي في السماء، والعديد من الشواهد الاثرية التي يبرز فيها الانسان عبادته الأجرام السماوية. تُعتبر الإلهة كاليبستيس تجسيدا رومانيا للإلهة تانيت، التي انتشرت عبادتها على نطاق واسع بين النوميديين والقرطاجيين على حد سواء. (المومن، 2005، الصفحات 100-101) قدست ك "سيدة السماء"، ومُنحت سلطة على الكواكب، النجوم، الأرض، وسكانها ومنتجاتها. كما أنها كانت تُشرف على عالم الأموات وما بعده، بالإضافة إلى كونها إلهة المطر الخصيب، أو "Pollicitatrix Pluviarum" (غانم، 2005، صفحة 86)، وليس من قبيل الصدفة أن قام ترتوليانوس بجعل الإلهة أتارغاتيس (Atargatis)، التي قدست من قبل السوريون في نفس منزلة الإلهة كاليبستيس التي عبدها الأفارقة (غانم، 2005، صفحة 112)، وقد تجاوزت شهرة كاليبستيس الإطار الإفريقي المحلي لتصبح إحدى آلهة البانتيون الرسمي في روما، حيث أُقيمت على شرفها العديد من النصب والتماثيل (عقون، 2008، صفحة 219)

4.5. مظاهر قوى الطبيعة

كما عرف سكان المغرب القديم عبادة قوى الطبيعة وتعد فترة مهمة لكل الشعوب، وهي القوى المتمثلة في الكهوف والجبال والاشجار والمياه ورثت مجتمعات العصر النيوليتي -من العصور السابقة- تصورها للقوة الالهية في شكل وماهية أنثوية، هي الأم الكبرى للكون. غير أن الانسان النيوليتي قد بنى حول هذا الشكل الإلهي القديم بنية جديدة من التصورات والاعتقادات والأساطير، ذات فحوى ومضامين تتصل بالزراعة التي غدت جوهر حياته وأساس تنظيمه الاجتماعي والسياسي. فالديانة النيوليتي الأولى...هي ديانة زراعية في اعتقادها وطقسها والاسطورة الأولى هي أسطورة زراعية تتركز حول إلهة واحدة هي سيدة الطبيعة في شكلها الوحشي، وشكلها المدجن الجديد الذي تشارك يد الزارع في قولبته وتأهيله. (السواح، 2002، صفحة 24)

5.5. تقديس الموتى:

كان تقديس الموتى أحد أهم مميزات الأمازيغ في العصور القديمة، وهي ظاهرة اعتبرت فيها أرواح الأسلاف بمثابة آلهة، إذ أنهم يقسمون بها ويستشيرونها في أمورهم ثم ينأمون ليتلقوا الإجابات في شكل أحلام، ولم يغفل هيروديت الذي يرجع الفضل إليه بإمداد الكتب التاريخية بأخبار ليبيا القديمة، حيث يروي لنا في الكتاب الرابع في إطار الحديث عن قبيلة الناسمون أنهم يقسمون برجال منهم عرف عنهم الورع والشجاعة في حياتهم، بعدما يضعون أيديهم على قبورهم. وهم يتعبدون بزيارة القبور التلية لأسلافهم، ويستلقون فوقها بعد الصلاة. ويتقبلون كل ما سيرونه في منامهم. (غانم، 2005، صفحة 38)

6.5. تقديم الذبائح كممارسة وثنية ضمن العادات:

كما توجد بعض الممارسات الحاضرة بقوة وهي ذبح الحيوانات ولا يوجد تبرير عند السؤال على أصل هذه الممارسات سوى نسبتها من ناحية الإجازة للدين الإسلامي ما دامت الذبائح لله لكنها كممارسات تضعنا اما وجودها كممارسات تقدم في ممارسة بعض الطقوس، وحسب المقابلات التي أجريتها مع بعض المخبرين فإننا نستشف قدم هذه الممارسة وكمثال على ذلك: عند انتقال عائلة الى مسكن جديد، فالاعتقاد السائد ضرورة اسالة دماء بعض الحيوانات بالقول: (لازم يسيل الدم)، وأيضا كممارسة حاضرة في العديد من المظاهر الاحتفالية قبيل ضبط التسدية وتجذرها بقوة خاصة في المناطق الريفية (فؤاد، 2023، صفحة 135) ويدخل حكم إجازة الشريعة الإسلامية في السماح بذلك ما دامت الذبيحة لله كما جاء في قوله تعالى " إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (قرآن ك).

6. موقف الديانات السماوية من الوثنية.

رغم أن النصوص العديدة في الديانات السماوية تشير إلى عبادة الإنسان للأوثان محرمة، وتوضح موقف كل من الدين المسيحي والدين الإسلامي في محاربة وتحريم هذه الممارسات، إلا أن بعض الممارسات لا تزال قائمة كبقايا حتى يومنا هذا. هذا يجعلها تقف في وجه عوامل التغيير، خاصة وأن بعض مظاهر هذه العادات والتقاليد تُمارس ضمن مجتمعات تدين بالإسلام.

1.6. الفترة المسيحية:

رغم أن السياسة الرومانية قد حاولت أن ترتدي ثوب الديانة الوثنية والذي بدا واضحاً في نحت التماثيل والزخرف العمرانية التي كانت ذات مسحة رومانية تبرهن بما فيه الكفاية عن الحاق شمال إفريقيا من حيث الديانة بالدولة الرومانية (غانم، 2005، صفحة 131)

إن ما يميز تاريخ المسيحية في بلدان المغرب القديم منذ تاريخ ظهورها على مسرح الأحداث في حوالي سنة 180م إلى غاية القرن الرابع ميلادي وبالضبط سنة 313م، هو الاضطهاد، التي تخللتها إلا فترة

قصيرة من السلام الديني. (Duruy, 1910, p. 198) كما أظهرت السلطة الرومانية تسامحا إزاء الديانات المختلفة، وهذا ما لم يمس معتقوها بالمصلحة العليا للإمبراطورية. (شنيتي، 1984، صفحة 272) إن الكثير من السلوكيات الخرافية المستمدة من المعتقدات القديمة كانت بدون شك ممارسة لدى أصحاب المعالم الجنائزية الميغاليتية وشبه الميغاليتية متمثلة في تجميل الأشجار والتعبّد في المزارات وتقديس الجبال والصخور. ومن خلال هذه العادات الطقوسية، تتجلى بوضوح ديمومة بعض عناصر الديانات الوثنية القديمة، وهي معتقدات بقيت متجذّرة لدى سكان الأرياف إلى غاية وقت ليس ببعيد، رغم حلول عدّة ديانات سماوية متوافدة على بلاد المغرب، دون أن تقضي نهائياً على عدد من شعائرها ومعتقداتها رغم محاولات منع إقامتها منذ القدم.

على غرار المرسوم الإمبراطوري لسنة 397 م الذي يقضي بحظر كل المعتقدات الوثنية، بالإضافة لمختلف مراسم المجالس التي بيّنت مدى تنديدها بهذه السلوكات كمجلس أرل (Council of Arles) سنة 314م الذي تم فيه إعلان اللعنة ضد كل من يشعل الشموع والمشاغل اعتقاداً منه بقداسة الأشجار وعناصر المياه كالمنايع والنافورات إلى غير ذلك من الأمور كالصخور. ونفس الأمر بالنسبة لمجلس تور (Council of Tours) سنة 461م، حيث أمر أحد رجال الدين بعزل من المجتمع كل من يقوم بسلوكات مخالفة للكنيسة قرب الأشجار والنافورات والحجارة. وبقيت نفس الممنوعات تتجدد في مختلف المجالس مثل نانت (Council of Nantes) سنة 890م وطليلة (Council of Toledo) سنة 400م. (زرارة، 2022، صفحة 125) وقد جاء في الكتاب المقدس ((لِكَيْتُمْ حَسِبُوا النَّارَ أَوْ الرِّيحَ أَوْ الْهَوَاءَ اللَّطِيفَ أَوْ مَذَارَ النُّجُومِ أَوْ لُجَّةَ الْمِيَاهِ أَوْ تَبَرِّي السَّمَاءِ إِلَهَةً تَسُودُ الْعَالَمَ)) (www.st-takla.org، 2023)

وموقف الديانة المسيحية في شمال إفريقيا من الوثنية من خلاله رصد التأثير في أنماط الفنون والرسوم على الأواني الفخارية التي تتوافق والعقيدة المسيحية هو التحول والانتقال من رسم روما لمعالم الدين المسيحي في المنطقة وموقفها من إنشاء تصورات جديدة للعقيد المسيحية نجده في الفنون من التماثيل الرخامية وأرضيات الفسيفساء وهذه ما تم رصده في متحف خنشلة للأثار الذي يتضمن مقتنيات لقسم الآثار، قسم يحتوي على مصابيح زيتية فخارية تعود للفترة الوثنية عليها رسوم ونقوش ووجوه للميثولوجيا الدينية ترمز للآلهة الوثنية الصغيرة والكبرى التي عبدها النوميديون، وجدت هذه المصابيح في مناطق متفرقة في ضواحي مدينة خنشلة، يليه قسم أخرى يوضح تغير في نمط الرسوم خاص بالفترة الرومانية الذي منع رسم الأوثان على الأواني الفخارية وتم استبدالها بالرموز التي تتوافق مع التعاليم المسيحية وذلك بوضع شكل الأسماك أو أشكال دائرية ونباتات أو صلبان رمز الدين المسيحي (هارون، 18).

2.6. الفترة الإسلامية.

دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا حملت العقيدة تعاليم بالنهي والتحریم لكل الممارسات الوثنية كالذبح لغیر الله وإقامة النصب والتبرک بالموتی، والحاجة إلى طلب استدراار المطر والدعاء بغير الله، كلها وغيرها مما لا یسعنا أن نوردہ الآن، فوجود نصوص عديدة في القرآن تشير إلى وجود ممارسات قبل الإسلام كثيرة كقوله تعالى ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴾ (قرآن)، توجيه بتحریم كل هذه الممارسات وبقاءه كركن اساسي لمن يريد إعتناق الإسلام.

7. الآلهة الوثنية تانيث :

1.7. الربة تانيث:

هي احد أكبر الآلهة المحلية الافريقية اشتهرت في قرطاج، برزت منذ القرن الخامس قبل الميلاد، ولقد كان اسمها مرتبطا بالآلهة بعل حامون نفسه، حيث كانت تدعى باسم تانيث بني بعل أي تانيث وجه بعل، وهي تمثل إلهة الامومة عبادتها تتعلق بالخصب يستعان بها عند الولادة. (Decret)، (1981)

نستعرض في هذا البحث تحديدا الإلهة تانيث التي شكل عبادتها في العهد الوثني مظهرا دينيا تم الكشف عنه من خلال الآثار، ويشار إليها في النصب الجنائزية التي وجدت في معبد الحفرة بقسنطينة، إحتوت نصب معبد الحفرة على نقوش ليبية وأغلبها بونيقية وبونيقية جديدة وكذا نقوش إغريقية وأخرى لاتينية، وكما كانت من ضمن هذه النقوش نقوش مزدوجة وكان من ضمنها ثلاثة عشرة نقشية مؤرخة ما بين 148-202 ق.م و 127-128 ق.م أما سيرتا أهم مدن النوميديين، والتي كان الملوك يفضلون الإقامة بها. فلعلها كانت أيضاً المدينة التي بها أكثر عباد الآلهة القرطاجية، فقد عثر بـ"سيرتا" على كتابات تعود للقرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وعلها إهداءات باللغة البونيقية لـ"بعل حمون" و"تانيث بنيبعلل"، وهذين المعبودين تذكروهما آلاف النذور التي عثر عليها في باطن أرض قرطاجية. ومع أن المهديين يحملون على وجه التقريب جميعاً أسماء فينيقية. (كازال، 2007)

2.7. الشواهد الاثرية للإلهة تانيث:

اعتقد المجتمع النوميدي منذ عصور ما قبل التاريخ بالقوة الخفية المتحكمة في حياته فأسكنها في العديد من الاماكن، في الكهوف، المغارات، في أعلي الجبال، في الأشجار، في الحيوانات وفي ينابيع المياه والأنهار، وقد استمرت لديهم هذا الإعتقاد حتى اليوم. لعل الحيوانات المتمثلة على الرسوم الصخرية، كال كبش ذو الهالة - كبش بوعلام زناقة- (غانم، 2005، صفحة 52) والثور، والأسد والحصان ما هي إلا تجسيدا لحيوانات قدسوها إما لقوتها أو جمالها، كما قدسوا القوة الطبيعية المتمثلة في قرص الشمس، الهلال، وقرص القمر، وهي صورة لاعتقادهم، لقد جسدت لنا نصب معبد الحفرة مرجعا حقيقيا لفهم

كل هذه الرموز المقدسة والمتداولة لديهم خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والقرن الأول ق- م ويأتي الأله "بعل حمون" في الدرجة الأولى ويرمز للخصب، إنتاج الارض، النبات والحيوان، وفي الدرجة الثانية الإلهة تانيت وهي رمز للأُم وسيدة العالم السفلي، ثم الإله "بعل إدير" إله الصاعقة والمطر، كان المجتمع النوميدي يقدم الأضحية والقرايين لهذه القوة الخفية، لطرد الأرواح الشريرة وتمثل هذه القرايين في الحيوانات كالكلبش والثور وبعض الأدوات الفخارية (الفخارية والحلي... إلخ) تقدم هذه الأضحية في المعابد أو على عتبة أبواب المنازل أو قرب ينابيع المياه على قمم الجبال والأشجار.

3.7 أصول الإلهة تانيت:

قام الفينيقيون بنشر عبادة (تانيت) في بداية الأمر على شكل دُمى جميلة تهدى للأطفال المغاربة، إلا أن المؤرخ "خزعل الماجدي" يقر أن أصل هذه الآلهة بربريا فتبناها القرطاجيون، وتقابلها عند الفينيقيون الخصوبة عشترت (الماجدي، 2001، صفحة 155). انظر الصورة رقم 01

صورة رقم 01: نصب جنائزي



المصدر: المتحف العمومي سيرتا - قسنطينة – نصب جنائزي لتانيت بتاريخ: 2024

4.7. وظائف الإلهة تانيت :

الالهة تانيت (tanith) هي إلهة مقدسة مع قرينها أمون لدى شمال إفريقيا، وكانت رمزاً للأمومة والخصوبة (العربي، 2008، صفحة 212)، ويعود تمسك شمال إفريقيا بالآلهة أنثى إلى قيمة المرأة في المجتمع القبلي واتخاذها رمزاً للخصوبة، أما أصل هذه الآلهة فهي محمل خلاف بين المؤرخين في محلية هذه الآلهة أو وفودها، ويعود تاريخ الشواهد على قدم عبادتها في المنطقة إلى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح ولعل تمسك المغاربة برمزها إلى يومنا هذا من خلال الإبزيم الفضي الذي تستخدمه المرأة في لباسها والوشم على جبهة المرأة هو خير دليل على جذورها المغربية (الثعالبي، 1986، صفحة 17)، وهناك افتراضات على أنها وافدة ضمن التغيرات الحاصلة بقدوم الفينيقي لشمال إفريقيا، فإن اسم تانيت

مشتق من الكلمة الفينيقية "إيتن" أي العطاء، وكانت سلطتها الدينية على الذرية والغيث. (الصالح، 2015، صفحة 158).

5.7. الدلالة الرمزية للقمر رمز تانيت:

نجد في بعض الأحيان الحالات التي يقدم فيها للنساء الحوامل نوع من (الطين-هلاخت) لتأكله، وهو مادة أساسية في صناعة الفخار ولا يمكن الجزم في العلاقة التي تقوم على تشكل ممارسات يجتمع فيها الاعتقاد بطاقة القمر وما هو من نبات (كالشيخ - إيزري بالامازيغية) و(القمر-هازيري) وتقارب مخارج الحروف وسياق توظيفها في موضوع خصوبة المرأة، خاصة أثناء فترة الحمل، كما أن الطين التي تدخل في صناعة الأنية الفخارية تستعمل في هذا الطقس، يعرف القمر باسم "تيزري" أما الهلال باسم (ايور) في اللغة الأمازيغية، والاسم نفسه كان يشير إلى الرب القمر لدى الأمازيغ كما أوضح كامبس، وعبادة القمر عموماً تضرب في القدم فكما أكدها ابن خلدون، (محمد، 2022، الصفحات 23-38)

هذه المعلومة جُمعت من خلال العمل الميداني والتفاعل مع أفراد المجتمع المحلي في المناطق الجبلية بولاية خنشلة، حيث تُعد هذه الممارسة جزءاً من التقاليد (بتاريخ 2023/08/23 مقابلة مع نساجين من منطقة بابار).

جدول رقم 01: توظيف اسم القمر المتعلق بمراحل الحمل.

العلاقة القائمة في تشابه التسميات ومضامين الاستعمال الواحد للقمر للدلالة على فترة خصوبة المرأة.	القمر	ازيري aziri	يستعمل كمصدر يبعث الطاقة في عشبة الشيخ.
	الشيخ	إيزري iziri	عشبة تقدم للمرأة بعد تعريضه لضوء القمر. اثناء فترة الوحم
	عجوة التمر مع الزيت	ازير azrir	يقدم للمرأة بعد الولادة مباشرة.

المصدر: مخرجات مقابلة مع نساجين من منطقة بابار بتاريخ 2023/08/23.

-المستوى التعييني (الوصفي):-ارتباط اسم الألهة تانيت في مدلولها عن كل ما يتعلق بالخصوبة وبين الجدول رقم:01 قرب اسم الالهة (تانيث) وارتباطه مع كل ما يتعلق بموضوع الخصوبة، والقصد أن المفردات التي اقترنت بوصف كل ما يتعلق بفترة الوحم، من العهد القديم والاستعمال في العصر الحديث.

ومن هنا يمكننا أن نبحث عن تفسير علمي بالرجوع الى المراجع التاريخية التي تؤكد على وجود علاقة قائمة بين الوحم وممارسة بعض الطقوس وارتباطها بالقمر ومن هذه الشواهد نجد الآلهة التي كانت تعبد في شمال إفريقيا هي (تانيث) إلهة الخصوبة وهي زوجة بعل حامون. والهلال والقرص الذي يرمز إلي القمر (جوليان، 1978، صفحة 119)

-المستوى التضميني (الدلالي) والقراءة التضمينية ترجع الدلالة الحقيقية للدليل، بمعنى أنها تحليل بما هو أبعد مما تمثله كونها تتعلق بالجانب الانساني المتصل بالتأثير الذي يولده (الدليل)، ونقصد بالدلالة التموضع في المستوى الرمزي (الايحائي) من أجل الكشف عن المعنى الحقيقي للدلائل الايقونية أو الصور والرمز بصفة عامة، من خلال الملاحظة الميدانية لمقتنيات متحف سيرتا في قسنطينة (جناح الفترة الوثنية) تظهر تانيث في بعض النصب الجنائزية لمعبد الحفرة، تمثل شكل امرأة تحمل القمر، فبقاء الدلالة للاسم واضمحلال معانيها مع مرور الوقت وبقائها فقط كممارسة رمزية وجب علينا الكشف عنها. وربطها بموضوع بحثنا من خلال ابراز ما توجي اليه كلمة تانيث في الاتصال اللفظي الى مدلوله الحقيقي. (غالية، 2024)

هذا الامر قادنا الى إن الاسم هتينيث وبقاء مدلوله في منطقة خنشلة يمكن أن ينظر إليه كترسبات وبقايا يربط بدلالته الدينية للإلهة الأم تانيث، ويمكننا من خلال المكتشفات الأثرية وربط مدلوله كعبادة يستعمل في يومنا هذا لوصف المرأة الحامل خاصة فترة الوحم (صالح، 2024) وهي ما تميزت به المعبودة تانيث في مباركة خصوبة النسل، فتقول النساء من يتحدثون بالأمازيغية (الشاوية) في ضواحي مدينة خنشلة عبارة هتينيث وهي كلمة واحدة تدل على أن المرأة في فترة الوحم، يمكننا القول إن حضور بعض من الممارسات المترسخة في المخيال الجماعي لا يمكن إعطاء تفسيراً صحيحاً لبعضها، إلا في سياقها الصحيح، وقد يغيب فيها المعنى الأصلي مع مرور الوقت وتبقى دلالتها والكشف عن مضامينها مرهونا بما تتيحه المكتشفات الأثرية من قراءة صحيحة وتسمح بفك الرموز والمعاني، والبحث المستمر عن بعض الكلمات بالشاوية التي يمكن أن تقودنا الى رصدها كبقايا وترسبات التي ترجع الى الجذور الأولى التي أسهمت في تشكيل الرموز، من خلال تجميع المعلومات الخاصة بالمقابلات تم رصد عبارة تانيث والذي نبين دلالة الاسم ومعناه انظر الجدول رقم 02.

جدول رقم 02: توظيف الاسم تانيث لتعبير عن مراحل خصوبة الارحام.

اسم إلهة الخصوبة في العهد الوثني.	العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة	فترة الوحم والمرأة	الأولاد نتاج العلاقة بين الرجل والمرأة
تانيث (TANITH)	هتنايث (HETNAITH)	هتينيث (HTINITH)	هظنايث (HATNAYETH)

المصدر: مخرجات مقابلة مع نساجين من مدينة عين الطويلة بتاريخ 2023/09/08.

لا تزال المرأة الحبلى في الأسابيع الأولى تصاب بتغير مزاجها ويطلق على هذه الحالة في منطقة خنشلة وبعض المناطق المجاورة بالامازيغية (هتينيث HATINIT) وهي فترة الوحم، وستقوم العجائز بوضع في إناء فخاري عشبة (الشيج -إيزري) به ماء ثم وضعها ليلا مقابلة للقمر (هازيري- النجوم)، لتقوم بمباركة المياه ومن ثم يقدم للمرأة صباحا لتغتسل به أو تبخر به وهذه الممارسة من الطقوس التي نجدها مستمرة ليومنا هذا، حاولنا في بحثنا هذا تسليط الضوء عن الدور وما تحمله هذه الممارسات التقليدية المتوارثة في منطقة خنشلة، لكننا نجد أنفسنا أمام تعدد الآراء التي تحاول إعطاء تفسيرات عديدة له من ناحية أصل هذه الطقوس مثل نسبته للسحر، لكننا سنكتفي بالرائ القائل: بالطاقة التي يحدثها ضوء القمر في الماء وعشبة الشيج للمرأة الحامل فيدفع عنها الشعور بالغثيان والدوار بعد الاغتسال بمائه أو التبخر به بعد تجفيفه حسب الاعتقاد الشعبي في منطقة خنشلة.

رمز "الزائد" والصليب: تاريخ أقدم من المسيحية قدم السيد بوزيدي هارون (محافظ التراث رئيس قسم الحفظ والجرد والترميم بالمتحف العمومي الوطني الاخورة بولعيز (للاثار) بخنشلة)، رؤية بالغة الأهمية بخصوص دلالات بعض الرموز الشائعة، والتي قد تُفهم خطأ في سياقات من الآراء المعاصرة.

واكد أن رمز الصليب الموجود على بعض المقتنيات الفخارية القديمة (300 ق.م) هو أقدم من أن يكون رمزاً للمسيحية، موضحاً أن هذا الرمز، بحد تعبيره، "أسبق من مفهوم صليب المسيح". فصليب الديانة المسيحية، وفقاً لتفسيره، كان في الأصل يحمل ثلاثة خطوط متقاطعة ومكتوب عليه أحرف لاتينية "ألفا وبيتا" بمعنى "مسيحي من البداية للنهاية" هذا الطرح يُشير إلى أن شكل الصليب كرمز هندسي كان موجوداً في ثقافات المنطقة قبل ظهور المسيحية، وقد حمل دلالات مختلفة (ربما تتعلق بالاتجاهات الأربعة، أو التوازن، أو الرمز الكوني) قبل أن يُكتسب دلالته الدينية المسيحية. انظر الصورة

رقم 02

صورة رقم 02: علامة صليب المسيح (مسراج)



المصدر: متحف الموقع الأثري تيمقاد رقم القطعة 125 اخذت بتاريخ: 02أفريل 2024

6.7. رمز الزائد(+):

أشار السيد بوزيدي هارون: إلى أن هذا الرمز الذي يوضع على الفخار هو في الحقيقة حرف أمازيغي يُنطق "ثاء (+)". هذه المعلومة تُعيد الرمز إلى جذوره اللغوية والثقافية الأمازيغية. والأكثر أهمية، أنه أكد على وجود دراسات تُثبت أن حرف "الثاء (+)" له رمزته الدينية الخاصة به من العهد الوثني وبحسب قول الاستاذ: بن غالية معتز بالله (باحث دائم بالمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، الأنثروبولوجيا والتاريخ) هذا يُعزز فكرة أن الرموز الأمازيغية تحمل أبعادًا روحية وتاريخية عميقة، وتُشير إلى معتقدات قديمة سبقت الأديان التوحيدية الكبرى في المنطقة". (غالية، 2024)

تعدد الأديان الوثنية واختلاف المعتقدات والطقوس وممارسات عبادتها واختلاف أسمائها من مكان إلى آخر حول العالم، يوضح أن سبب تعدد الأوثان يرجع إلى أن الإنسان دائما ما كان يبحث في أصول الخليفة ومن خلقه ويحاول أن يصنع تصورا عقلاي يفسر سبب لوجوده وهو إحساس باطني وأيضا فطرته التي تشعره أن هناك قوة أكبر منه هي من تمنحه الحياة وتبارك كل أعماله وتبقيه سليما من قوى الطبيعية أو الأرواح الشريرة التي تؤذيه وتصبح تصورات الاعتقاد راسخة في قدرة هذه الآلهة أنها تمنحه السلام إذا ما قام بتقديم القرابين وأداء بعض الطقوس لتمكن عنه الشر وإرضائها، وهو الأمر يوضح انتقال الإنسان من مراحل تفكيره الديني في تشكل مزيج متنوع من الطقوس المتراكمة ويمكن التطرق بعض المعتقدات الديانات القديمة. أنظر الصورة رقم 03.

الصورة رقم 03: طغراء المسيح

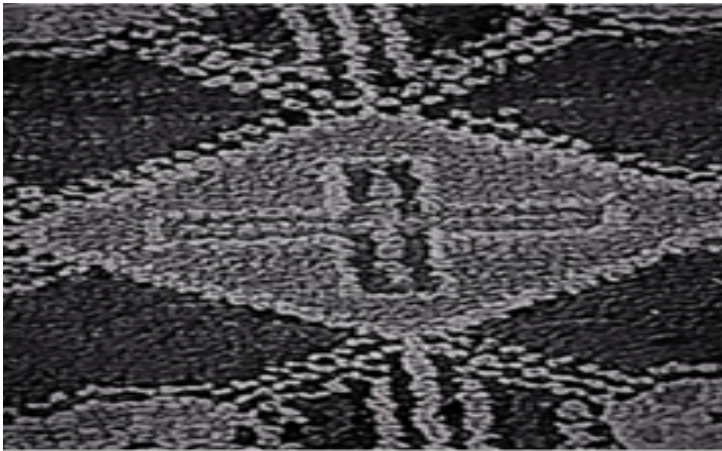


المصدر: متحف سيرتا قسنطينة ألتقطت بتاريخ 2024/02/18

7.7. الرمز الهندسي (+) في السجاد والفخار والوشم :

لا تزال سمائية بعض الرسوم والرموز في المنتجات الثقافية المحلية (زربية الماشة) منطقة خنشلة، تحتاج إلى الكثير من الجهد العلمي لتصنيف الرموز ودلالاتها، فوضع بعض الأشكال الهندسية على السجاد أو الفخار أو الوشم هو تقليد متوارث في مناطق عديدة من الجزائر، وتوجد بعض النقوش على قطع من الفخار تحمل علامة زائد أو المعين تعود إلى التاريخ القديم والتي تركز على تحقيق مجموعة من الأبعاد الاجتماعية والثقافية والنفسية، لكن ونحن في موضوعنا هذا ومن خلال محاولة فهم بعض من البقايا والبحث عن امتدادها التاريخي وضرورة إرجاعه أصول نشأتها على الأقل والبحث عن رمزيتها ومدلولاتها التي تظهر من خلال المقتنيات وما تحمله من رسوم ورموز، وعلى حد تعبير لوسيان غولفان بقوله: في تلك الحضارة المتميزة، هناك عنصر خاص يلفت أنظار علماء الإثنولوجيا وهو الفن الذي ابتكره ذلك الشعب المترامية في أرجاء المغرب، إذ من المستحيل دمجها بالفن المستورد من المشرق. أنظر الصورة رقم 04.

المصدر الصورة رقم 04: زربية تحتوي رمز الزائد (+)



المصدر: زربية مفروشة بدار الشباب لدائرة عين الطويلة، ولاية خنشلة، تم إلتقاطها بتاريخ 2024/04/12

كان الوشم واحدا من بين أهم المواضيع التي تم التطرق الى جوانبها العديدة، وما يحققه الوشم التقليدي من غايات من الناحية كمياعرية لجمال المرأة، وأمام جملة الآراء المتضاربة حول تفسير بعض الرموز الخاصة بالوشم التي تضعه النساء على وجنتيها أو الجبهة، يمكننا في الوقت الراهن سهولة رؤية علامة من الوشم على شكل زائد (+) داخل معين وهي العلامة الأكثر شيوعا، وكذلك في الزرابي وكذلك في الفخار، ليتم نسبته للدين المسيحي بمعنى الصليب، لكن بالرجوع إلى بعض المقتنيات والمكتشفات الفخارية العائدة للفترة العهد الوثني نجد أن علامة زائد (+) حاضرة بقوة ولا يزال بعض الحرفيين يوسمون ويزينون منتجاتهم الفخارية بهذه العلامة، وكذلك السجاجيد التي يتضح بأنها حرف بونيقي ينطق "ت"، وهذا الطرح يبني على أسس ان كل رمز له مدلول ديني ولا يأتي من كونه شكلا هندسيا يحقق المظهر الجمالي للقطع الفنية فقط، واشتماله على وجوده الى غاية الآن في الرسوم على السجاد الأمازيغي والأواني الفخارية، من خلال البحث المعمق في كتب التاريخ أو من خلال الآثار على الأرجح انه حرف التاء الموسومة في الأتية الفخارية والعديد من المنتجات التقليدية المحلية في منطقة خنشلة. (هارون، 18)

خاتمة:

من خلال الدراسات الأنثروبولوجية والأركيولوجية التي تؤكد وجود رسومات على جدران الكهوف ونقوش حجرية تنتهي الى عصور ما قبل التاريخ، في أماكن عديدة حول العالم كانت لشمال إفريقيا وصحرائها وبالأخص الجزائر العديد من الشواهد التي جعلتها تستقطب إهتمام علماء الأنثروبولوجيا، هذا ما يعزز الجوانب النظرية السابقة التي تعمل على تفسير عمليات التطور الفكري للإنسان البدائي وانتقاله من مرحلة فكرية معينة متعلقة بالدين الى مرحلة أخرى وربطها ببعض الشواهد الاثرية التي تركها الإنسان البدائي في اماكن عديدة من مناطق العالم، يتم حفظها في المتاحف الأثرية، فهي تجلي مكانة الانسان البدائي وتميزه في قدرته على العيش وخلق مجتمعات تعتمد على نمط محدد مع بيئته التي تشكل له عديد من جوانب الحياة كالدين والاقتصاد والسياسة، هذا ما يجعل الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الانسان وبيئته موضوعا خصباً يحتاج للمزيد من الجهود للوصول الى العلاقة القائمة بينهما، وهذا الارتباط الذي شكل انماط عديدة من المعبودات في ارجاء العالم عبر التسلسل الزمني لتطور الفكر الديني كان كنتيجة لحاجة الانسان لتلبي بعض رغباته العديدة من مباركة اعماله او لتطويع القوى الروحية لخدمته..

ومن خلال هذه الدراسات يمكن استخلاص ما يلي:

-الرموز على المنتجات التقليدية كالالفخار والزرايبي والوشم يحمل دلالات ومضامين يمكن الكشف عنها كبقايا من العهد القديم ويشكل امتدادها التاريخي تعبيراً عن الانتماء والامتداد الثقافي المتوارث من جيل إلى جيل.

-تعد متاحف الاثرية وكلاسيكيات الكتب التاريخية مرجعا داعما في تفكيك الرموز والكشف عن مضامين بعض الممارسات والطقوس لأي مجتمع..

-الحاجة الى عملية توثيق الرموز وما تحمله من دلالة وإبرازه كسمة ثقافية للمجتمع الامازيغي، في اطار ادراجه ضمن التراث الثقافي العالمي، وكمقترح لضمه ضمن نداءات المتكررة لتصنيفه في ضمن اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لمنظمة اليونسكو التي اعتمدها سنة 1972.

قائمة المصادر والمراجع:

- إيزار، ب. ب. (2006). مرجع سابق نفسه). ن. الصمد (Trad.)، لبنان: دار مجد.
- ابن منظور، جمال الدين. (2000). لسان العرب (المجلد ط 1). بيروت: دار صادر.
- البرغوثي، ع. ا. (1971). التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي. المغرب: دار النشر تواليت.
- الثعالبي، ع. ا. (1986). مقالات في التاريخ القديم. تاريخ شمال إفريقيا (Vol. ط 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- السواح، ف. (2002). لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة (Vol. ط 2). دمشق سوريا: للنشر والتوزيع والترجمة.
- المومن، م. ب. (2005). مدينة بورتوس ماغنوس-بطيوة-دراسة في تاريخها القديم. منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر ورتاجم جامعة وهران 100-101 ,
- بوزيدي، ش. (2024, 06 12). ب. فؤاد (Intervieweur)، قايس.
- جيمس فريزر. (1971). الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين. (احمد ابوزيد، المترجمون) مصر: الهيئة العامة للتأليف والنشر القاهرة.
- رجاء، أ. ع. (2001). منهج البحث في العلوم النفسية والتربوية. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- زرارة، م. (2022). المعالم والطقوس الجنائزية. قالة -الجزائر -جامعة 08 ماي -قالة -قسم الآثار. 1945
- ستيفان غزال. (2007). تاريخ شمال إفريقيا القديم (المجلد ج 6). المغرب: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
- شارل أندري جوليان. (1978). تاريخ إفريقيا الشمالية. (محمد مزالي، والبشير بن سلامة، المترجمون) تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.
- شرشار، ع. ا. (ماي-ديسمبر 2002) أهمية اللغة ووظائفها في عملية التواصل ، قراءة في كتاب مدخل إلى التحليل اللساني اللفظ-الدلالة -السياق للعربي قلايلية. مجلة انسانيات العدد 18-17 ص. 61-62
- شنيتي، م. ا. (1984). التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع ميلادي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- صالح، ا. (2024, 02 07). كلمة الوحم باللغة الامازيغية). ب. فؤاد (Intervieweur)،

- عقون م. ا. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم. الجزائر: دار الهدى.
- عماد ع. ا. (2009). سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة. مركز دراسات الوحدة العربية. 169 ,
- غانم، محمد الصغير. (2005). الملامح الباكورة للفكر الديني في شمال افريقيا. الجزائر: دار الهدى.
- فؤاد ب. (15 04 2023). المضامين السيميو ثقافية في زربية اللمامشة خنشة انموذجا. ا. ح. 135. Intervieweur جامعة الجزائر. 02
- فؤاد ب. (02 03 2024). مقابلة حول سيميائية الطقوس اثناء التسدية . ج. غ. Intervieweur ,
- قرآن لك. (s.d.). سورة البقرة الآية. 173.
- قرآن. (s.d.). الصفات الالية. 125.
- كاكي محمد. (2022). مكونات المجتمع النوميدي في المجال الديني والاعتقادي. جامعة زيان عاشور - الجلفة - (الجزائر): مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية.
- مقابلة معتر بن غالية. (15 03 2024). شرح رمز تانيث في النصب الجنائزية بمتحف سيرتا بقسنطينة. (بوزيد فؤاد، المحاور) خنشة.
- هارون ب. (18 03 2024). تتبع امتداد الرمز من العهد الوثني في متحف. ب. فؤاد Intervieweur, استمارة مقابلة غير منشورة في اطروحة دكتوراه موضوع المضامين السيميوتاقية للسجاد زربية اللمامشة خنشة انموذجا.
- الماجدي خ. (2001). المتعتقدات الكنعانية. الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع الاردن.
- كازال س. (2007). تاريخ شمال إفريقيا القديم (Vol. ج). 6م. ا. سعود (Trad., الرباط : مطبعة المعارف الجديدة.
- توفيق ا. ن. (1981). الدين والبناء العائلي. جدة : دار الشروق.
- الصالح ب. س. (2015). جوان. (عبادة الله آمون والإلهة تانيت ببلاد المغرب القديم - بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي) . ع - 5 و 5. المجلة الاجتماعية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية. 158 ,
- الصغير غ. م. (2005). الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا. الجزائر: دار الهدى .
- العربي ع. م. (2008). الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم. الجزائر: دار الهدى عين مليلة.
- (2023, 01 13). www.st-takla.org الكتاب المقدس . سفر الحكمة 9-13 مصر , موقع الانباء هيமானوت تراث الكنيسة القبطية الارثوذكسية .

Claud, R. (1997). *Socio-antherpologie des religions*. Paris: Armond Colin.

Claude, R. (2013). *Introduction a l'antherpologie*. Paris: Hachette.

Decret), (. (1981). *L'Afrique du Nord dans L'Antiquité, (Histoire et Civilisation des origines au V siècle)*. paris: Payot.

Duruy, V. (1910). *histoire générale* (Vol. éd . 8). Paris: librairie Hachette et Cie.

ferguson.j. (1986). the worship of animals and plansts. *londr*(6), 194-209.

Geertz, C. (1973). *The Interpretation of Cultures*. (New York): Basic Books.

-Haas, E. (2002). Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie. *Psyche*, 59, pp. 139–44.

urbanisme, C. o. (2024, 04 27). https://interieur.gov.dz › article_de. Récupéré sur https://interieur.gov.dz › article_de.